شاكر عبد الحميد لـ«999»:

جائزة الشيخ زايد للكتاب من أرفع الجوائز العربية

حوار: طه علي -مصر

يعد الدكتور شاكر عبد الحميد، واحداً من أبرز النقاد في العالم العربي، فهو صاحب العديد من الأطروحات النقدية، ينتمي إلى جيل السبعينيات الذي كانت له إسهامات واسعة في «علم النفس الأدبي»، ما جعله يحظى بإصدار العديد من المؤلفات في هذا المجال. تولى د. عبد الحميد العديد من المناصب القيادية، أبرزها وزارة الثقافة في حكومة د.كمال الجنزوري خلال عام 2012، وطوال هذه المسيرة حصد العديد من الجوائز، يعتبر أبرزها جائزة الشيخ زايد للكتاب لعام 2011 / 2012، والتي يراها محصلة لتجاربه وخبراته الأكاديمية والوظيفية، «كونها جائزة رفيعة تستحق التقدير والإشادة».

في حديثه لـ«999» يتحدث وزير الثقافة المصري الأسبق عن توصيفه لهذه الجائزة، وأبرز المحطات في حياته، ورؤيته للحركة النقدية في العالم العربي، ورصده للمشهد الثقافي الراهن، إلى غيرها من محاور ذات الصلة، وفيما يلي نص الحوار:

• ما توصيفك لجائزة الشيخ زايد للكتاب، والتي سبق أن حصلت عليها؟

– حقيقة أثمن غالياً حصولي على هذه الجائزة، وذلك عن كتابي «الفن والغرابة». واعتبر هذه الجائزة من أرفع الجوائز في العالم العربي، التي ترعى الآداب والفنون، ما يجعلها - بحق-جائزة رفيعة تستحق التقدير والإشادة من جميع المهمومين بلغة الضاد، سواء كانت آداباً أو فنوناً.

ولا شك أن حصولي على جائزة تحمل اسم المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، «طيَّب الله ثراه»، يُعد دلالة كبيرة، إذ أن جائزة أدبية وفنية تحمل اسم الراحل العظيم، هو تقدير في حد ذاته، وهو الذي كان يحمل هموم وطنه وأمته، الأمر الذي جعله يحظى بوصف «حكيم العرب»، وأصبحت له شعبية كبيرة في داخل وخارج دولة الإمارات.

• برأيك ما هي الإضافة التي يمكن أن تضيفها جائزة الشيخ زايد لمجالات الفنون والآداب؟

– هي إضافات عديدة، فكما ذكرت فالجائزة من أرفع الجوائز العربية في مجالات الفنون والآداب، وهذا يعطيها زخماً كبيراً، فالجوائز لها قيمة مهمة في حياة المبدعين، وتأتي تقديراً وإثراءً لمسيرة

المبدعين في مختلف أعمالهم الإبداعية، إذ إنها تُساهم في حركة التأليف والترجمة في مختلف المجالات.

وتأتي على رأس هذه الجوائز، جائزة الشيخ زايد للكتاب والتي تضطلع بقيمة معرفية وأدبية كبيرة، الأمر الذي يجعلها على رأس الجوائز في الوطن العربي، لما تحمله من قيمة كبيرة على رأسها المغفور له بإذن الله تعالى من ناحية، ولما تمثله من تقدير وتحفيز للمبدعين من ناحية أخرى.

«الفن والغرابة»

• برأيك، ما الأهمية التي يمثلها كتاب «الفن والغرابة»، والذي حصلت بموجبه على جائزة الشيخ زايد؟

– هذا الكتاب يتناول مفهوم الغرابة في الفن وتاريخها منذ البداية الفلسفية الأولى لدى أفلاطون، مروراً بالقديس أوغسطين، وصولاً إلى فرويد ودريدا وهيدجر وغيرهم، من الناحية النفسية في مجالات الفنون التشكيلية والعمارة والسينما والمسرح وغيرها من الفنون.

وفي المقابل، فإن مفهوم الغرابة غير مألوف في الثقافة العربية، ولم يكتب عنه كثيراً، ومن الممكن أن يفسر الكثير من الأمور غير المألوفة التي تحدث في بلادنا الآن، فالمبدع يحاول أن يجسد الأشياء غير المتوقعة وغير المألوفة ومشاعر الحيرة والقلق وفقدان اليقين، في محاولة لفهمها.

ومن هنا، فإن كتاب «الفن والغرابة»، الذي فاز بجائزة الشيخ زايد، يعبر عن الحيرة والقلق والشك وفقدان اليقين وكل حالات الخوف والمشاعر الإنسانية على نحو ما شهدته مصر خلال الفترة الأخيرة على سبيل المثال.

التاريخ العربي

• وهل تعتقد أن تاريخنا العربي ثري بهذه الغرابة على الرغم من كونها غير مألوفة في ثقافتنا؟

– في الواقع، فبالرغم من أن الغرابة غير مألوفة في ثقافتنا العربية، إلا أن تاريخنا العربي مليء بها غير أنه تم تهميشها، كما أنها تحظى أيضاً بالكثير من النصوص الهامشية المهمة، التي تم استبعادها، ما يتطلب إعادة قراءة تاريخنا، إذ إنه لا يصح استبعاد طرف لصالح طرف آخر.

«التباس الغرابة»

• وهل تعتقد أن هناك ثمة التباساً في مصطلح «الفن والغرابة»، والذي حمل عنواناً لكتابك؟

– هنا قد يبدو الالتباس، لأن الغرابة نفسها قد تحمل نوعاً من الشك وعدم اليقين والغموض، وهو الالتباس الذي يتعلق بالفرد أو بالثقافة، أو بهما معاً، ومع تزايد الشك والافتقاد إلى اليقين، يقل الشعور بالأمن ويزداد الإحساس بالتهديد.

والواقع، أن الفن الحديث حاول التخفيف من شعور الإنسان بالاغتراب على الرغم من أن هذا الفن ليس نسخاً متكررة أو غير مطابقة لهذا الشرط الإنساني، ويقلل من وطأة هذا الوجود الإنساني الزاخر بالغرابة أنه يحوله إلى صور خيالية.

ولهذا كله، فإن الإنسان يشعر أنه غير قادر على تمثيل العالم، وأن العالم كذلك غير قادر على تمثيله، وهو الأمر الذي يتجلى فيه الخوف على مختلف الأرجاء، حتى يتصاعد ليبلغ مرتبة الرعب أيضاً.

تفاعل المثقفين

• بعضهم يرى أن المثقفين العرب يعيشون في برج عاجي، وأنهم دائماً في معزل عن القاعدة الجماهيرية، فهل تتفق مع هذا الرأي؟

– لا يمكن التعميم بالطبع، وإن كان هذا وارداً على قطاع من المثقفين والمفكرين، فإنه لا يمكن تعميمه على الجميع، لأن هناك من ينشغل بالهم العام سواء السياسي أو الاجتماعي للناس، والمطلوب من المثقف المحافظة على روح القيم الثقافية وإعادة إنتاجها في السياقات المختلفة التي تطرح في الحياة العامة، وأن يتحلى المثقفون بالصبر والإنصات والتفاعل مع كل ما يدور حولهم، وألا يكونوا في معزل عنه.

• وهل تعتقد أن على المثقفين الانخراط في العمل السياسي؟

– ليس بالضرورة الانخراط في العمل السياسي، ولكن الانشغال بالهم العام، ومنه السياسي، فلا يمكن للمثقف الانفصال عما يدور حوله، أو ينعزل هو، وعليه العمل على إشاعة روح الحوار والديمقراطية والتعدد واحترام الآخر، وتبسيط المفاهيم من خلال إبداعاته التي تشرح المصطلحات التي تتداولها النخبة ويصعب فهمها على القارئ العادي مثل الليبرالية والتعددية والعولمة والكوكبية والحراك السياسي وغيرها من مصطلحات.

> تاريخنا العربي مليء بالغرابة ونحن بحاجة إلى إعادة قراءة التاريخ مجددا

الأديب والسياسي

• هل تعتقد أن هناك ثمة علاقة جدلية بين الأديب والسياسي؟

– بالطبع، هناك علاقة، غير أنها قد لا تكون علاقة جدلية، فالأدب لا بد أن يكون موجهاً للجميع سواء كان للسياسيين أو لغيرهم، والسياسي إنسان، ومن حق المثقف أن يصل إليه، وأن يعمل على أن يصله إبداعه. والمثقفون كما ذكرت لا ينبغي لهم العيش في برج عاجي، أو التقوقع على ذواتهم.

والسياسي من جانبه، ينبغي أن يكون عاملاً على تثقيف نفسه، ولا يجب عليه أن يعيش بمعزل عن هذا الثراء الأدبي، بدعوى أنه سياسي، غير أن هناك ثمة فوارق بين السياسيين والمثقفين، وإن كان هناك ارتباط وثيق بينهما، حينما يكون المثقف سياسياً، أو أن يكون السياسي مثقفاً.

ولذلك، فإنني لا أجد غضاضة في أن يتولى المثقف منصباً سياسياً، أو أن يبدع السياسي نصاً أدبياً، فالأدب قد يكون أبرز الأدوات الناجعة للسياسيين في معالجة الكثير من الأمور، وبالمثل، فعلى المثقف أن يكون مهموماً بأمور واقعه، ولا يعيش في معزل عنها، ولا ننسى أن محاربة الجهل والتخلف وقوى الرجعية لا ينبغي إلا أن تكون من خلال الثقافة.

• في ظل انشغالك بالنقد، واهتمامك بالهم السياسي، وحرصك على العمل الثقافي، كيف تتعامل مع كل هذه الاهتمامات؟

– النقد بالنسبة لي هواية، فتخصصي في علم النفس وسيكولوجيا الإبداع، منذ مرحلة الماجستير والدكتوراه. وبصراحة كنت أتمنى أن أكون صحافياً، حين أتيت من بلدي «أسيوط» من أجل أن التحق بقسم الصحافة في كلية آداب جامعة القاهرة، لكن القسم كان يضع عدة معايير لم تنطبق عليَّ وقتها.

وقتها بدأت أتجه إلى علم النفس، ولم يكن في حسباني هذا المجال، المجموع هو الذي جعلني التحق بهذا القسم وكذلك بعض الأساتذة، في السنة الأولى درست على يد رشاد رشدي في الأدب، ويحيى هويدي في الفلسفة، وغيرهما مما فتح مداركي على الثقافة، وقد كنت محباً للأدب منذ الصغر.

وفي المجال السياسي انشغلت بالهم السياسي من خلال أحد الأحزاب، وكانت إدارتي لوزارة الثقافة بعد ثورة 25 يناير، محطة مهمة في حياتي، فقد كنت مُحباً لهذا القرار، إذ كانت لديَّ أحلام بعضها خاص وبعضها عام، لكن الظروف لم تساعدني على تحقيق كل هذه الأحلام. وكنت أتمنى توفير عيشة كريمة للمثقف المصري، وإصدار مجلات كافية وإقامة مؤتمرات أكثر فاعلية، وأن تستعيد الثقافة المصرية حيويتها التي كانت عليها في العهود السابقة.

• هل تعتقد أن مواقف المثقفين يمكن أن تتغير حين يقتربون من الانشغال بالعمل السياسي؟

– بالتأكيد يتغير موقف المثقف عند انخراطه بالعمل السياسي، والذي يمكن أن تزداد قيوده، لأنه قبل السياسة يكون حراً مطلقاً، حتى إذا ما ارتبط بالسياسة، ارتبط بالسياسات بعينها.